

## هل نستطيع الحكم على إرث رفيق الحريري



عندما ذهبت لرؤية الحريري قبل انتقاله إلى إيران في ديسمبر 2003، تظاهر بالدهشة. قال "أنت صحافي. لماذا تدانق على الهاتف أو تشاهد القنوات الفضائية لمعرفة ما يحدث في أي مكان في العالم من هنا. في إيران، لن تعرف ما يجري في المنزل المجاور وإن كان بعد عشر سنوات". كانت هذه آخر مرة رأيته فيها. فليقد بسلام.

ودبلوماسيا أكثر من أي شخص آخر. حققت سياساته الاقتصادية نجاحات ولكنها خلفت العديد من الأعباء. اليوم، وصل الدين العام إلى 78 مليار دولار، ويتسائل اللبنانيون عما إذا أنفقت الجهات المسؤولة هذه الأموال بحكمة. كان الفساد متفشيا ويفتقر الكثير من المزارعين إلى وسائل الري الأساسية إلى اليوم. وتعكس المشاكل التي يواجهها قطاع الكهرباء البنية التحتية الضعيفة.

خلال عملية "عناقيد الغضب" الإسرائيلية سنة 1996 ومجزرة قانا، تعامل الحريري مع التطورات كرجل دولة. واعتمد رصانة لم تكن شائعة في السياسة اللبنانية. تحدث الحريري عن لبنان ولم يقتصر كلامه على أي طائفة أو حزب أو مصلحة معينة. لا نستطيع أن نحدد الكيفية التي سبكم التاريخ بها على الحريري بعد. كان شخصية رئيسية في السياسة اللبنانية بعد الحرب. وكان مسؤولا

في الثانية، التقى الحريري بأحد أبناء بيروت. قال الرجل "أنا فقير ولا أستطيع دفع فواتيري"، مما فاجأ رئيس الوزراء. فتابع الرجل مصرا "زوجتي فقيرة أيضا... وأطفالي فقراء". بدأ الحريري قلقا وسال "ماذا عن خدمك؟ هل هم فقراء أيضا؟" اشتكى أحد مساعديه من أن إدراج مثل هذه النكات في الصحف يظهر عدم احترام لرئيس الوزراء، لكن الحريري استمتع بالقصة. لم يكن يعرف ما يقوله الناس عنه في وسائل النقل العامة، وأراد أن يتطلع على أرائهم. وكان هذا الأمر أكثر أهمية من كبريائه. صور اللبنانيون الحريري بطريقة مبالغ فيها. لم يقتصر الأمر على تبادل النكات، بل نقلوا شائعات حول الأراضي والممتلكات التي جمعها، متخيلين مخالفه المالية في عدد من الأماكن التي لم تخطر على بال أحد. في مقابلاتي مع الحريري لاحظت نمطا مميّزا. كلما كانت الأسئلة أصعب، كانت إجابته أفضل. في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى لبنان، في يناير 1996، قابلت الحريري من أجل صياغة تقرير لإذاعة بي.بي.سي. عندما سألته عن رأيه في قناة المنار التلفزيونية التابعة لحزب الله، قال إن تلفزيونه لم يكن معدلا لاستقبال ترددها. كانت إجابة ذكية قدمها للإذاعة في التوقيت المناسب. قد يكون هذا المزيج من الدبلوماسية والآراء المباشرة السبب الذي جعل الحريري يكون محل ثقة في فترة الأزمات.

بجميع الأعياد الدينية. وقال "تكن المشكلة في السياسيين وليس في الشعب". كان رفيق الحريري رجلا اجتماعيا مفعما بالطاقة. وكان متواضعا. طرحت عليه قضية حرمان الشعب من الوجبة البحرية في بيروت، وهو من الحقوق التي يجب أن يفرضها القانون. وأخبرته عن مشكلة تواجهها العديد من المباني العشوائية التي يمكن أن تهددها ظاهرة المد. أخبرت الحريري أن "الحمام العسكري" في بيروت (النادي العسكري المركزي) كان شاطئا رمليا يمكن أن يزوره الجميع. لم يصدق ذلك. وقال إنه يتذكر تلك المنطقة من أيام طفولته، ولم تكن شاطئا رمليا. لذلك، أخذت معي ملصقا قديما يروج للوجبة السياحية عندما كنت متجها للقائه. أظهر الملصق الوجبة البحرية بشاطئها الرملية قبل بناء الحمام العسكري. اعترف الحريري على الفور بأنه كان مخطئا وهو ما يعد نادرا في صفوف الزعماء السياسيين اللبنانيين. بعد بضعة أسابيع سمعت بأنه وضع الصورة في إطار وثبتها على الحائط في مناسبة أخرى، كتبت عمودا في إحدى الصحف أقرن نكتتين عن الحريري لإظهار انخفاض شعبيته خلال فترة معينة. تصوّر الأولى رئيس الوزراء اللبناني الأسبق وهو يسير على الكورنيش وسأله جني عن أميته حتى يحققها له، فاجاب الحريري "لا، لا، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟".

غاريث سميث كاتب في شؤون الشرق الأوسط

في 14 فبراير 2005، كنت متجها من شمال العراق إلى بيروت. أثناء استراحتي في أربيل، لمحت شاشة تنقل خبرا ظننت أنه عن تفجير في العراق. ثم تعرّفت على المنطقة، إنها عين المريسة الموجودة على ساحل بيروت. كان ذلك التفجير الذي استهدف رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري مع 21 شخصا أثناء مرور موكبه بالقرب من فندق سان جورج في بيروت، بعد وقت قصير من مغادرته البرلمان اللبناني. كتبت نعي الحريري وأنا على متن الطائرة التي كانت تعبر صحراء العراق وسوريا ثم القرنة السوداء المغطاة بالثلوج. كان الحريري بالنسبة لي من الفينيقين العصريين. مثل أسلافه الذين كانوا يؤمنون بقوة التجارة. ووفقا لأفكاره، إذا تمكن اللبنانيون من النجاح في هذا المجال، سينسون الطائفة ويتغلبون عليها بعد أن اشعلت حربا أهلية استمرت 15 عاما (وما زالت تحدد السياسة اللبنانية إلى اليوم). مثلت أفكار الحريري إستراتيجية في وقت كانت فيه البلاد تفتقر إلى قيادة. كان الحريري بمثابة رائد في فنس اللبنانية كيفية المضي قدما. عندما قابلته، أخبرني أن اللبنانيين يتناولون الطعام ذاته ويحتفلون

## قيس سعيد: تعلم المشي بين حقول الألغام

القضية أبعد من مجلس الأمن ومن التطبيع، وهي تكمن في المقولات النمطية والدبلوماسية الفاشلة وثقافة الهزيمة.

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
أسسها 1977  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرّاه التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

الرئيس قيس سعيد وإن سُجّلت على عاتقه، وتتجاوز كثيرا مقولات "تقاليد الدبلوماسية التونسية" وهي حقّ يراد به غيره! الدبلوماسية التونسية تُعاني من "سبات استراتيجي" في وضع الخيارات الاقتصادية واجتراح البدائل وصناعة أفاق الحلول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتقديم تصوّر جديد للعمل الدبلوماسي النشط والفاعل والمبادر، في إطار تقاليد الدولة التونسية في العلاقات الدولية. كيف لهذه الدبلوماسية أن تُعيد اكتشاف بواطن العالم، وهي دون مركز دراسات استراتيجية كبير وقبيل ووازن ومؤثر، يضع الأولويات ويرسم التصورات، ودون صناعة رمزية ناعمة تقدم لصورة تونس من البوابات الخلفية والإمامية للأمن والدول، وتدخل العقول قبل الأسواق والأفئدة وقبل الموائم والقطارات.

هكذا يصير التطبيع جزءا من المشهد المعقد، ومظهرا من مظاهر الضبابية المؤسساتية في تونس ما بعد الثورة. وقد يكون من بين مشاكله الكبرى أن الأمر صادف طرحه من قبل الدولة التونسية في زمن "صفقة القرن" وفي وقت الرئيس الأميركي دونالد ترامب وفي عهد الضعف العربي وفكك أمراض الميليشيات الطائفية والإرهابية بالجدد العربي المريض. مُشكلة التطبيع مع الكيان الصهيوني متمثلة أساسا في أمرين، الأول أنها لم تحظ في تونس بالحوار الاجتماعي والسياسي والإعلامي الكبير، نذهب على أساسه إلى تجريمه الرسمي والقانوني والمؤسساتي أو تحويله إلى سياسة رسمية للبلاد. والثاني أن المشكلة يُراد لها من قبل الفاعلين السياسيين أن تبقى قميص عثمان وجزءا من سرديّة المظلومية والبكائيات المزعومة وعنوان عنتريات كاذبة دون أن تنكسر في شكل قانون واضح. فلا المجلس التأسيسي قبل بـ"دسترة" تجريم التطبيع، ولا مجلس النواب قبل بـ"تقنينه" رغم وجود مشاريع قوانين لهذا الغرض. وفي كل الحالات، فإن الجميع وبلا استثناء يتحمل مسؤولية التردّي الدبلوماسي، من قيس سعيد الذي لا بد له من طرح برنامج ورؤى دبلوماسية حقيقية وتعيين فريق متناغم، إلى مسلسل تشكيل الحكومة الذي طال أكثر مما يجب، وصولا إلى غياب نهج دبلوماسي مستقر ومراكز دراسات استراتيجية، في وقت تقدم فيه النخب السياسية صورة تعيسة عن تونس داخل البلاد وخارجها. ولذلك لم يفكر العقل السياسي التونسي حتى الآن بالصناعات الناعمة ويبدو أنه لن يفكر!

وفي القضايا الإقليمية والدولية. يعود الغموض جزئيا إلى فشل قيس سعيد حتى الآن في تعيين فريق استشاري في القصر متناغم مع بعضه ومتناسق مع رؤاه الدبلوماسية. وفي جزء آخر ترجع الضبابية إلى قصور الطبقة السياسية الحالية في تشكيل حكومة قادرة على تسهيل عمل وزارة الخارجية وعلى تأنيث عملها في مستوى السفراء والقناصل وترتيبه. وفي جزء ثالث يعود التلعثم إلى غياب مركز استراتيجي للتفكير في السياسات العامة وفي رسم العلاقات الإقليمية والدولية، الأمر الذي أفقد تونس منذ مدة القدرة على استقراء القضايا واستشراف المستقبل.

وفي الكثير من الحالات، فإن التمسك بالعقيدة الدبلوماسية للرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، كانت تُسترجح خطأيا على سبيل فقدان الحيلة واقتقاد السبيل، وليس على سبيل استرداد التصوّر العام الذي يتطور وفق المسائل الآتية والقضايا العاجلة. بعبارة أدق وأوضح، تتجاوز مسألة التطبيع وإن رُسمت بملامحه، وتوق

التي تجسد "حقول الألغام دبلوماسية" قابلة للانفجار في وجه كل جاهل بحياتها وإكراهاتها.

الدبلوماسية التونسية تُعاني من سبات استراتيجي وأزمتها أبعد من مجلس الأمن ومن التطبيع، وهي تكمن في المقولات النمطية والدبلوماسية الفاشلة وثقافة الهزيمة

وكلمنا استمرّ هذا الغموض في رسم السياسات الدبلوماسية والاستراتيجية تركز التذبذب والتخبط بين هيكل الدولة ومؤسساتها حيال القضايا الداخلية والخارجية، وهو ما يسبب كثيرا الصورة تونس ولصداقتها ولإسمائها الرمزي والاعتباري كدولة ذات رؤية دقيقة في علاقاتها الخارجية

وزارة الخارجية التونسية على الخط لتقديم موقفها حيال مشاركة فريق التنس في بطولة التنس خلالها بفريق إسرائيلي.

قضية التطبيع مع إسرائيل على أهميتها المصلية، تبقى جزءا من الكل، أو بعبارة أدق هي العينة الإبرز حاليا في مشهد الاضطراب والتلكؤ والتردد والتلعثم وضبابية الموقف والرؤية الدبلوماسية في عهد الرئيس قيس سعيد.

استدعاء المقاطع الأخرى لمشهد الدبلوماسية التونسية يُساعد على حسن قراءة الصورة ككل، فالموقف التونسي حيال الوضع في ليبيا غير واضح، وكذلك حيال التدخل العسكري التركي في ليبيا وبحته عن دور امني وفي مجال الطاقة على الشريط البحري والبري الجنوبي أيضا ضبابي بشكل كبير. هذا دون الحديث عن القضايا الأخرى التي لم تفتح بعد على سائكن قرطاج، على غرار الوضعية في المغرب العربي الكبير والمجال الأفريقي والأزمة في اليمن وعودة سوريا إلى الجامعة العربية وغيرها من المسائل

أمين بن مسعود كاتب ومحلل سياسي تونسي

يمكن تلخيص اللخبطة القائمة حاليا بين مؤسسة الرئاسة التونسية ووزارة الخارجية، بأنها نتاج "عدم اعتياد الوافدين الجدد إلى قصر قرطاج على تقاليد الدولة التونسية ومؤسساتها، واستعصاء هضم الدولة التونسية سياسات الارتجال والانطباعية والثورية الزائدة عن حدّها". الأزمة بين مؤسسة الرئاسة ووزارة الخارجية معقدة ومركبة جدا. من بين مظاهرها العجز عن إدارة مسألة تقديم تونس مشروع قرار باسم المجموعة العربية والإسلامية في مجلس الأمن ضد صفقة القرن. ومن بين تجلياتها أيضا إصدار مؤسسة الرئاسة لبيان تفسيري حول ذات القضية، يتضمّن اتهامات لممثل تونس السابق في المنظمة الأممية بالسعي لاسترداد دعم الكيان الصهيوني ضدّ بلاده. ومن تجسيداتنا أيضا دخول

